

مَا نَزَلَ بِإِلَاءِ إِلَّا بِذَنْبٍ

وما رفع إلا بتوبة

فضيلة الشيخ

عبيد بن عبد الله الجابري

حفظه الله

على أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ، وما رفع إلا بتوبة ، فاستعينوا بالله على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وسارعوا إلى الطاعات من فرائض ومستحبات ، وجانبوا - أيها المسلمون - المحرمات ، فإنها مجلبة للمساخط وعظيم العقوبات .

بادروا - أيها المسلمون - بالتوبة والاستغفار ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها ونمى على الله الأمانى .

واعلموا - أيها المسلمون - : أن الدنيا هي دار الممر والعمل ومحاسبة النفس ، وأن الآخرة هي دار القرار والجزاء والحساب ، فتفطنوا عباد الله قبل أن يندم النادمون ولات ساعة مندم .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فعليه المستعان وعليه التكلان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



الصدر خطبة جمعة

للسيغ عبيد الجابري حفظه الله

اعداد فريق المقالات بموقع ميراث الأنبياء

حتى هلك كثير من الحرث والنسل ؟! ، أستم - أيها المسلمون - تعلمون ما جرى من تسلط الكفار - أعداء الله وأعداء رسوله - على بعض أقطار المسلمين ، فاستباحوا فيها الحرمات ، وانتهكوا الأعراض ، واغتصبوا الأموال ؟! ، أستم تدركون سماعاً - كأنه رأي العين - ما حل بالمسلمين من الحروب الطاحنة فيما بينهم ، فأصبح القوي يأكل الضعيف ، وما نجا إلا من رحم الله ؟!

عباد الله : أخبر نبيكم صلى الله عليه وسلم وخبره الصدق وقوله الحق - عما حلّ وسوف يحل ، ونسأل الله العافية في الدين والدنيا والآخرة - ، ومما صحّ به النقل عنه ما أخرجه أحمد وابن ماجة القزويني من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(يا معشر المهاجرين : خمس خصال إذا ابتليتم بهنّ - وأعوذ بالله أن تدركوهن - : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن معروفة في أسلافهم الذين مضوا ، وما نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ، وما منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، أو قال من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما نزل الله على نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم) .

أيها المسلمون : دل كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم



إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) . [آل عمران : 102] .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) . [النساء : 1] .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) . [الأحزاب : 70 - 71] .

أما بعد : فإن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أيها المسلمون : في محكم التنزيل ، الذي هو خير القيل ، (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) . [فصلت : 42] ، يقول الحق - جل ثناؤه ، وتقدست صفاته وأسمائه - : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . [المطففين : 14] .

والمعنى : أن الأمر ليس كما يزعم الكفار ؛ أن ما أوتيته محمد ﷺ من تنزيل الله ووحيه هو أساطير الأولين ، لكن خيم على قلوب هؤلاء وغطى عليها - حتى لا يصلها شيء من الحق ولا تنشرح لقبول الحق - ما كانوا يكسبونه من الكفر، الذي حملهم على رد ما جاء به محمد ﷺ .

عباد الله : واعلموا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، يوضح هذا قوله ﷺ :

(إن العبد إذا أذنب الذنب نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو تاب ونزع واستغفر صقل ، ولا يزال العبد يذنب الذنب ، فذالكم الران ، ثم تلى ذالكم الآية : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) . [المطففين : 14] .

فهذا الحديث - يا عباد الله - نص صريح في الدلالة على أن المعاصي إذا أصر عليها العبد واستحلها واستعبد لها ؛ حجبت عن قلبه نور الهداية ، فيصبح لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً . قال الحسن البصري - رحمه الله - في معنى هذه الآية : (هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت) . وبقول الحسن - هذا - قال غير واحد من الأئمة ؛ منهم : مجاهد بن جبر ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، رحمهم الله الجميع .

أيها المسلمون : من نظر في الكتاب الكريم ، وفيما صح به النقل عن النبي ﷺ ، وجد فيهما من الأدلة على مثل ما أفادته هذه الآية ،

والحديث الآخر الذي بعدها - وهو حديث صحيح - ، وكلها متضافرة على أن الله - سبحانه وتعالى - جعل المعاصي مجلبة لأليم عقابه ، وعظيم سخطه ، ومن تلکم الآيات في الدلالة على هذا المعنى - أيها المسلمون - ، قول الحق - جل ثنائه - :

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ . وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) . [الشورى : 30 - 31]

ولئن اغتر أناس بما يتظلل فيه العصاة والظلمة والفساق من وافر النعم ؛ من صحة وجاه ومنصب وأموال وبنين ، فإن هذا مما مضت به سنة الرب - جل وعلا - وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، فإنه - سبحانه وتعالى - يمهّل ولا يهمل ، ويوضح هذا - يا عباد الله - قوله ﷺ : (إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ... وقرأ : وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) .

أيها المسلمون : أستمستم تسمعون وتقرؤون وتلاحظون فشوا أمراض فتاكة ، استعصت على الأطباء ؟! وتلكم الأمراض الفتاكة ؛ مثل : الإيدز ، والسيلان ، والزهري لم تكن معروفة فيمن مضى من أسلافكم ، أستمستم - يا عباد الله - تعانيون من شدة المؤونة والكلفة في المعيشة ، ارتفاع أسعار وشح موارد ؟! أستمستم - أيها المسلمون - ترون رأي العين وتشاهدون ما حل بالعباد والبلاد من شدة الجذب والقحط